سورة المزمل

مكية [إلا الآيات ١٠ و١١ و١٢ فمدنية] وآياتها ١٩ وقيل: ٢٠ [نزلت بعد القلم]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾

﴿ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ المتزمّل، وهو الذي تزمّل في ثيابه: أي تلفف بها، بإدغام التاء في الزاي، ونحوه: «المدثر» في المتدثر وقرئ: المتزمّل على الأصل، والمزمل بتخفيف الزاي وفتح الميم وكسرها. على أنه اسم فاعل أو مفعول، من زمله، وهو الذي زمله غيره أو زمل نفسه؛ وكان رسول الله ﷺ نائمًا بالليل متزملاً في قطيفة فنبه ونودي بما يهجن إليه[1] الحالة التي كان عليها من التزمل في قطيفته واستعداده للاستثقال في النوم، كما يفعل من لا يهمه أمر ولا يعنيه شأن. ألا ترى إلى قول ذي الرمّة [من الطويل]:

---

(١) قال محمود: «هو المتلفف في ثيابه كالمدثر ونودي بما يهجن إليه... إلخ» قال أحمد: أما قوله الأول أن نداءه بذلك تهجين للحالة التي ذكر أنه كان عليها واستشهاده بالأبيات المذكورة. فخطأ وسوء أدب. ومن اعتبر عادة خطاب الله تعالى له في الإكرام والاحترام: علم بطلان ما تخيله الزمخشري؛ فقد قال العلماء: أنه لم يخاطب باسمه نداء، وأن ذلك من خصائصه دون سائر الرسل إكرامًا له وتشريفًا. فأين نداؤه بصيغة مهجنة من ندائه، باسمه، واستشهاده على ذلك بأبيات قيلت ذمًا في جفاة حفاة من الرعاء، فأنا أبرأ إلى الله من ذلك وأربأ به ﷺ، ولقد ذكرت بقوله [من الرجز]:

أوردها سعد وسعد مشتمل

ما وقعت عليه من كلام ابن خروف النحوي يرد على الزمخشري ويخطىء رأيه في تصنيفه المفصل، وإجحافه في الاختصار بمعاني كلام سيبويه، حتى سماه ابن خروف: البرنامج، وأنشد عليه:

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا تورد يا سعد الإبل

وأما ما نقله أن ذلك كان في مرط عائشة رضي الله عنها فبعيد، فإن السورة مكية، وبنى النبي ﷺ على عائشة رضي الله عنها بالمدينة. والصحيح في الآية ما ذكره آخرًا؛ لأن ذلك كان في بيت خديجة عندما لقيه جبريل أول مرة، فبذلك وردت الأحاديث الصحيحة، والله أعلم.

وَكَائِنْ تَخَطَّتْ نَاقَتِي مِنْ مَفَازَةٍ وَمِنْ نَائِمٍ عَنْ لَيْلِهَا مُتَزَمِّلِ[1]

يريد: الكسلان المتقاعس الذي لا ينهض في معاظم الأمور وكفايات الخطوب، ولا يحمل نفسه المشاق والمتاعب، ونحوه [من الكامل]:

فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الْفُؤَادِ مُبَطَّنًا سُهُدًا إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْهَوْجَلِ[2]

---

(١) لذي الرمة. وكائن: بمعنى كم الخبرية، والأكثر استعمالها مع «من» كقول: وكائن من كذا. والمتزمل المتلفف في ثيابه عند كثرة النوم، يقول: كثيرًا من المفاوز تخطته ناقتي وسارته، وكثيرًا من نائم وغافل عن ليلها ـ أي: المفازة أو الناقة ـ متكاسل عما فيه من عظائم الأمور، فالمتزمل كناية عن ذلك.

ينظر: ديوانه (٦٠٠)، والبحر: ٨/ ٣٥٨، الدر المصون ٦/ ٤٠١.

(٢) ولقد سريت على الظلام بمغشم جلد من الفتيان غير مثقل
ممن حملن به وهن عواقد حبك النطاق فشب غير مهبل
ومبرأ من كل غبر حيضة وفساد مرضعة وداء مغيل
حملت به في ليلة مزءودة كرهًا وعقد نطاقها لم يحلل
فأتت به حوش الفؤاد مبطنًا سهدًا إذا ما نام ليل الهوجل

لأبي كبير الهذلي يصف تأبط شرًا، واسمه: جابر بن ثابت، تزوج الهذلي بأمه بعد جابر فخاف منه، فأغرته على قتله فخرج به متحيلاً لذلك فلم يقدر، فمدحه بالشجاعة والفطنة: يقول: سرت ليلاً في الظلمة بمغشم، أي مع فتى يقدم على الأمر بلا مبالاة ولا تدبير ولا خوف عاقبة، مع جراءة، جلد، أي: صلب صبور غير مثقل، أي خفيف في السير منزه عن كل ما يوجب الضعف والتباطؤ، وبينه بقوله: ممن حملن. أي: هو ممن حملن، أي جنس النسوة به؛ أو هو بعض الفتيان الذين حملت بهم النسوة، وأفرد ضمير «به» مراعاة للفظ «من» وضمن العمل معنى العلوق، فعداه بالباء؛ وإلا فهو يتعدى بنفسه. والحبك: جمع حباك كخزام. أو جمع حبيك أو حبيكة؛ وهو الخيوط التي يحبك بها النطاق. والمهبل: المدعو عليه بالهبل، أي: الثكل والفقد. والغبر: بالضم فالتشديد ـ: بقية الحيض وغبره، وكذلك الغبر ـ بالضم وبالفتح مع السكون. والغابر: الباقي والذاهب. ويجوز أن غبر: جمع غابر، وغبر يغبر غبورًا ـ كدخل ـ: بقي وذهب، أي: لم تحمل به أمه في زمن بقية الحيض. ومرضع: من الصفات المختصة بالمؤنث؛ والغالب تجريدها من التاء؛ فما هنا على خلاف الغالب. والغيلة: إحبال الرجل امرأته وهي ترضع ولدها: فيمرض؛ فالمغيل: الممرض بالغيلة. وفي حديث مسلم: لقد هممت أن أنهي عن الغيلة حتى ذكرت أن الروم وفارس يصنعون ذلك فلا يضر أولادهم، وكان القياس في مغيل إعلاله كمقيم ومبين ومعين، لكن جاء على الأصل شذوذًا للضرورة. وروي معضل، أي معي ومعجز للأطباء. وزأده ـ كذعره: إذا خوفه، فهو مزؤود ومذعور فالمزءودة: المخوفة، وتخويف الليلة مجاز عقلي: كشربت الكوز. والخوف في الحقيقة للمرأة. ويروى بالنصب على الحال، لكن يضيع ذكر ليلة، إلا أن يقدر وصفها بمظلمة. والنطاق: ما يشد به الوسط. وحوش الفؤاد بالضم وحشي القلب لحدته وتوقده ونفوره عن الناس. والرجل الحوش والحوشي: الذي يجانب الناس مبطنًا خميص البطن منضره: سهداً ـ بضمتين ـ: كثير السهاد أي السهر: وإسناد النوم إلى الليل مجاز عقلي؛ وإنما النائم الهوجل: وهو الرجل الطويل الأحمق. ومن تجربة العرب: أن المرأة إذا حملت بولدها كارهة غير مستعدة للوطء: جاء ولدها نجيبًا. حكي عن أم تأبط شرًا أنها قالت فيه: والله إنه الشيطان، ما رأيته ضاحكًا قط، ولا هم بشيء في =

وفي أمثالهم [من الرجز]:

أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلْ مَا هَكَذَا تُورَدُ يَا سَعْدُ الإِبِلْ[1]/ ٢/ ٢٤٠ب

فذمه بالاشتمال بكسائه، وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس، وأمر بأن يختار على الهجود التهجد، وعلى التزمل التشمر، والتخفف للعبادة والمجاهدة في الله، لا جرم أنّ رسول الله ﷺ قد تشمر لذلك مع أصحابه حق التشمر، وأقبلوا على إحياء لياليهم، ورفضوا له الرقاد والدعة، وتجاهدوا فيه حتى انتفخت أقدامهم واصفرت ألوانهم، وظهرت السيمى في وجوههم وترامى أمرهم إلى حد رحمهم له ربهم. فخفف عنهم. وقيل: كان متزملا في مرط لعائشة[2] يصلي، فهو على هذا ليس بتهجين، بل هو ثناء عليه وتحسين لحاله التي كان عليها، وأمر بأن يدوم على ذلك ويواظب عليه. وعن عائشة رضي الله عنها: أنها سئلت ما كان تزميله؟ قالت: كان مرطا طوله أربع عشرة ذراعًا نصفه علي وأنا نائمة ونصفه عليه وهو يصلي، فسئلت: ما كان؟ قالت: والله ما كان خزًا ولا قزًا ولا مرعزى[3] ولا إبريسما ولا صوفًا: كان سداه شعرًا ولحمته وبرًا (١٦٧٠). وقيل: دخل

١٦٧٠ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/ ١٠٧): غريب وروى البيهقي في كتاب «الدعوات الكبير»

= صباه إلا فعله، ولقد حملت به في ليلة ظلماء، وإن نطاقي لمشدود؛ وذلك يدل على نجابته وشجاعته.
جمهرة اللغة ص ٣٦٠، وخزانة الأدب ٨/ ١٩٤، ٢٠٣، وشرح أشعار الهذليين ٣/ ١٠٧٣، وشرح التصريح ٢/ ٢٨، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٨٨، وشرح شواهد المغني ١/ ٢٢٧، والشعر والشعراء ٢/ ٦٧٥، ولسان العرب (سهد)، (حوش)، (هجل)، ومغني اللبيب وتاج العروس (هجل)، وبلا نسبة في أوضح المسالك ٣/ ٨٩، وجمهرة اللغة ص ١١٧٦، وشرح شواهد المغني ٢/ ٨٨٠، ولسان العرب (جيا).

(١) لمالك بن زيد مناة يخاطب أخاه، وكان قد بنى على امرأته فلم يحسن سعد القيام بأمر الإبل، فقال: أوردها سعد إلى الماء والحال أنه مشتمل متلفف بثيابه لا متشمر. وذكر الظاهر مكان المضمر: فيه نوع من التوبيخ. ما هكذا تورد، أي: تساق إلى الماء، وكان معرضًا عنه فالتفت إليه وناداه نداء للبعيد: دلالة على أنه بليد. وحق هاء التنبيه: الدخول على اسم الإشارة، لكن قدمت على كاف التشبيه مبادرة واهتمامًا بالتنبيه. ويروى بدل الشطر الثاني: يا سعد ما تروى بهذا كالإبل. وهذاك اسم إشارة، وصار هذا البيت يضرب مثلاً لكل من لم يحسن القيام بشأن ما تولاه.
للنوار (زوجة مالك بن زيد مناة) في لسان العرب (خنطل)، ولمالك بن زيد مناة في جمهرة الأمثال ١/ ٩٣، وفصل المقال ص ٣٤٧، ومجمع الأمثال ٢/ ٣٦٤، والدرة الفاخرة ١/ ٧٢، ولعلي بن أبي طالب في مجمع الأمثال ١/ ٤٠٦، وتاج العروس (سعد)، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ١/ ٤٢٦، وتاج العروس (شرع)، والمستقصى ١/ ٤٣٠، ولسان العرب (شرع)، وكتاب العين ٦/ ٢٦٦، وأساس البلاغة (شمل).

(٢) قوله: «وقيل كان متزملاً في مرط لعائشة» كيف والسورة مكية. (ع)

(٣) قوله: «ولا مرعزى» المرعزي الزغب الذي تحت شعر العنز اهـ صحاح. (ع)

على خديجة، وقد جئت فرقا[1] أول ما أتاه جبريل وبوادره ترعد، فقال: زملوني زملوني، وحسب أنه عرض له؛ فبينا هو على ذلك إذ ناداه جبريل: يا أيها المزمل (١٦٧١). وعن عكرمة: أنّ المعنى: يا أيها الذي زمل أمرًا عظيمًا، أي: حمله، والزمل: الحمل. وازدمله: احتمله وقرئ: قم الليل بضم الميم وفتحها. قال عثمان بن جنى: الغرض بهذه الحركة التبلغ بها هربًا من التقاء الساكنين، فبأي الحركات تحرّك فقد وقع الغرض ﴿نِّصْفَهُۥٓ﴾ بدل من الليل. وإلا قليلًا: استثناء من النصف، كأنه قال: قم أقل من نصف الليل. والضمير في منه وعليه للنصف، والمعنى التخيير بين أمرين؛ بين أن ينوم أقل من نصف الليل على البت، وبين أن يختار أحد الأمرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه. وإن شئت جعلت نصفه بدلا من قليلًا، وكان تخييرًا بين ثلاث: بين قيام النصف بتمامه، وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه؛ وإنما وصف النصف بالقلة بالنسبة إلى الكل، وإن شئت قلت: لما كان معنى ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١ نِّصْفَهُۥٓ﴾ إذا أبدلت النصف من الليل، قم أقل من نصف الليل، رجع الضمير في منه وعليه إلى الأقل من النصف، فكأنه قيل: قم أقل من نصف الليل. أو: قم أنقص من ذلك الأقل أو أزيد منه قليلًا. فيكون

= له: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني أبو صالح خلف بن محمد، أنا صالح بن محمد، ثنا محمد بن عباد المكي، ثنا حاتم بن إسماعيل عن نصر بن كثير عن يحيى بن سعيد عن عروة عن عائشة قالت: لما كانت ليلة النصف من شعبان انسل النبي ﷺ من مرطي ثم قالت: والله ما كان مرطي من حرير ولا قز ولا كتان ولا كرسف ولا صوف قلنا: فمن أي شيء كان؛ قالت: إن كان سداه لمن شعر وإن كان لحمته لمن وبر. مختصر قلت: وله طريق آخر.

أخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٥٥٧ ـ ٥٥٨) رقم (٩١٧) من طريق سليمان بن أبي كريمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بنحوه.

وقال ابن الجوزي: لا يصح قال ابن عدي أحاديث سليمان بن أبي كريمة أحاديثه مناكير ا.هـ.

قال الحافظ في «تخريج الكشاف»: لم أره هكذا ومن قوله «ما كان خزًا» رواه البيهقي في الدعوات من حديثها في ليلة النصف من شعبان «وانسل النبي ﷺ من مرطي ثم قالت: والله ما كان مرطي من حرير ولا قز ولا كتان ولا كرسف ولا صوف فقلنا من أي شيء كان؟ قالت: إن كان سداه لمن شعر وإن كانت لحمته لمن وبر انتهى.

١٦٧١ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/ ١٠٨) غريب.

قلت: أصله في الصحيحين.

أخرجه البخاري (١/ ٣٢ ـ ٣٣) كتاب بدء الوحي حديث (٣) ومسلم (١/ ٤٥٥ ـ الأبي) كتاب الإيمان: باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ حديث (٢٥٢/ ١٦٠) من حديث عائشة.

وقال الحافظ ابن حجر: لم أره هكذا وأصله في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها انتهى.

---

(١) قوله: «وقد جئت فرقًا» أفزع، فهو مجؤوث: أي مذعور، كذا في الصحاح. وفيه البوادر من الإنسان وغيره: اللحمة التي بين المنكب والعنق. (ع)

التخيير فيما وراء النصف بينه وبين الثلث. ويجوز إذا أبدلت نصفه من قليلا وفسرته به أن تجعل قليلاً الثاني بمعنى نصف النصف: وهو الربع، كأنه قيل أو انقص منه قليلاً نصفه. وتجعل المزيد على هذا القليل، أعني الربع، نصف الربع كأنه قيل: أو زد عليه قليلاً نصفه. ويجوز أن تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث، فيكون تخييرًا بين النصف والثلث والربع. فإن قلت: أكان القيام فرضًا أم نفلاً؟ قلت: عن عائشة رضي اللّه عنها أنّ الله جعله تطوّعًا بعد أن كان فريضة. وقيل: كان فرضًا قبل أن تفرض الصلوات الخمس، ثم نسخ بهنّ إلا ما تطوّعوا به. وعن الحسن: كان قيام ثلث الليل فريضة، وكانوا على ذلك سنة. وقيل: كان واجبًا، وإنما وقع التخيير في المقدار، ثم نسخ بعد عشر سنين. وعن الكلبي: كان يقوم الرجل حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ ما بين النصف والثلث والثلثين؛ ومنهم من قال: كان نفلاً بدليل التخيير في المقدار، ولقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩]، ترتيل القرآن: قراءته على ترسل وتؤدة بتبيين الحروف وإشباع الحركات، حتى يجيء المتلوّ منه شبيها بالثغر المرتل: وهو المفلج المشبه بنور الأقحوان، وألا يهذه هذا ولا يسرده سردًا[1]، كما قال عمر رضي الله عنه: شر السير الحقحقة. وشر القراءة الهذرمة (١٦٧٢)، حتى يشبه المتلو في تتابعه الثغر الألص. وسئلت عائشة رضي الله عنها عن قراءة رسول الله ﷺ؟ فقالت: لا كسردكم هذا، لو أراد السامع أن يعد حروفه لعدها و﴿تَرۡتِيلًا﴾ تأكيد في إيجاب الأمر به، وأنه ما لا بد منه للقارىء.

١٦٧٢ ـ روي هذا مرفوعًا عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة.

أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢/٢١٣) من طريق الحسن بن دينار عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: شر السير الحقحقة.

وأعله ابن عدي بالحسن بن دينار.

واستغربه الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/١٠٨) عن عمر وكذا ابن حجر كما سيأتي.

وأخرجه البغدادي في كتاب «الجامع لأخلاق الراوي والسامع» (١/٢٦٢) رقم (٥٤١) من طريق منصور بن جعفر قال: قرأت على أبي محمد بن درستويه قال قرأنا على ابن قتيبة قال عمر بن الخطاب: شر الكتابة المشق وشر القراءة الهذرمة وأجود الخط أبينه. اهـ.

قال الحافظ: لم أره عنه من رواية منصور وإنما قال أبو عبيد بن قتيبة في الغريب قال عمر: شر القراءة الهذرمة وأخرجه الخطيب في الجامع من رواية منصور بن جعفر قال: قرأت على أبي محمد بن درستويه قال: قرأنا على ابن قتيبة بهذا، وروى ابن المبارك في الزهد من رواية الحسن قال: كان يقال شر السير الحقحقة ورواه ابن عدي مرفوعًا من رواية الحسن بن دينار عن الحسن عن أبي هريرة والحسن بن دينار ضعيفٌ. انتهى.

---

(١) قوله: «وأن لا يهذّه هذّا ولا يسرده» الهذ: الإسراع. والسرد: التتابع. والحقحقة: شدة السير. والألص: متقارب الأسنان. أفاده الصحاح. وفيه «الهذرمة» سرعة القراءة. (ع)

﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾

هذه الآية اعتراض، ويعني بالقول الثقيل: القرآن وما فيه من الأوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين، وخاصة على رسول الله ﷺ لأنه متحملها بنفسه ومحملها أمته؛ فهي أثقل عليه وأبهظ له، وأراد بهذا الاعتراض: أن ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة التي ورد بها القرآن، لأنّ الليل وقت السبات والراحة والهدوء، فلا بد لمن أحياه من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه[1]. وعن ابن عباس رضي الله عنه: كان إذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتربد له[2] جلده (١٦٧٣). وعن عائشة رضي الله

١٦٧٣ ـ أخرجه أحمد (١/ ٤٦٤) من حديث ابن عباس في قصة هلال بن أمية قال: وكان النبي ﷺ إذا أنزل عليه الوحي عرفوا ذلك في تربد جلده.

وله شاهد من حديث عبادة بن الصامت وفيه كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد وجهه.

أخرجه مسلم (٣/ ١٣١٦) كتاب الحدود: باب حد الزنى حديث (١٢/ ١٦٩٠) وأبو داود (٤/ ٥٦٩ ـ ٥٧٠) كتاب الحدود: باب في الرجم حديث (٤٤١٥) والترمذي (٤/ ٤١) كتاب الحدود: باب الرجم على الثيب حديث (١٤٣٤) والدارمي (٢/ ١٨١) كتاب الحدود: باب في تفسير قول الله تعالى: ﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾، وأحمد (٥/ ٣١٣، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢١) وابن أبي شيبة (١٠/ ٨) وأبو داود الطيالسي (١/ ٢٩٨ ـ منحة)رقم (١٥١٤) وابن الجارود في «المنتقى» (٨١٠) والطبري في «تفسيره» (٤/ ١٩٨) وابن حبان (٤٤٠٨، ٤٤٠٩، ٤٤١٠، ٤٤٢٦ ـ الإحسان) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ١٣٤) وفي «مشكل الآثار» (١/ ٩٢) والبيهقي (٨/ ٢١٠) كتاب الحدود: باب جلد الزانيين ورجم الثيب، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١/ ١١٣) من طرق عن الحسن عن حطان بن عبد الله الرقاشي عن عبادة بن الصامت به.

والحديث أخرجه الشافعي (٢/ ٧٧) كتاب الحدود: باب الزنا حديث (٢٥٢) والطيالسي (١/ ٢٩٨ ـ منحة) رقم (١٥١٤) وعبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (٥/ ٣٢٧) والبغوي في «شرح السنة» (٥/ ٤٥٧ ـ بتحقيقنا) من طريق الحسن عن عبادة بن الصامت دون ذكر حطان بن عبد الله قلت: ولعل ذلك من تدليسات الحسن فأسقط حطان بن عبدالله ورواه عن عبادة دون واسطه.

قال الحافظ في «تخريج الكشاف»: أخرجه أحمد من حديث ابن عباس في قصة ابن أمية قال: كان =

---

(١) قال السمين الحلبي: قرأ أبو عمرو وابن عامر بكسر الواو وفتح الطاء بعدها ألف والباقون بفتح الواو وسكون الطاء، وقرأ قتادة وشبل عن أهل مكة «وطأ» بكسر الواو وسكون الطاء وظاهر كلام أبي البقاء يؤذن أنه قرئ بفتح الواو مع المد فإنه قال، «وطأ» بكسر الواو بمعنى مواطأة، وبفتحها اسم للمصدر، و«وطأ» على فعل وهو مصدر وطىء. فالوطاء مصدر واطأ. كقتال مصدر قاتل، والمعنى أنها أشد مواطأة. أي يواطىء قلبها لسانها إن أردت النفس أو يواطىء فيها قلب القائم لسانه إن أردت القيام أو العبادة أو الساعات. أو أشد موافقة لما يراد من الخشوع والإخلاص. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله: «وتربد» أي تعبس. (ع)

عنها: رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإنّ جبينه/ ٢/ ٢٤١أ ليرفضُ عرقًا (١٦٧٤). وعن الحسن: ثقيل في الميزان. وقيل: ثقيل على المنافقين. وقيل: كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف.

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾

﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾ النفس الناشئة بالليل، التي تنشأ من مضجعها إلى العبادة[1]، أي: تنهض وترتفع، من نشأت السحابة: إذا ارتفعت، ونشأ من مكانه ونشز: إذا نهض، قال [من الطويل]:

نَشَأْنَا إِلى خُوصٍ بَرَى نَيُّهَا السُّرَى ... وَأَلْصَقَ مِنْهَا مُشْرِفَاتِ الْقَمَاحِدِ[2]

وقيام الليل، على أن الناشئة مصدر من نشأ إذا قام ونهض على فاعلة: كالعاقبة، ويدل عليه ما روي عن عبيد بن عمير: قلت لعائشة: رجل قام من أوّل الليل، أتقولين له قام ناشئة؟ قالت: لا؛ إنما الناشئة القيام بعد النوم. ففسرت الناشئة بالقيام عن المضجع أو العبادة التي تنشأ بالليل، أي: تحدث، وترتفع. وقيل: هي ساعات الليل كلها؛ لأنها تحدث واحدة بعد أخرى. وقيل: الساعات الأول منه. وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما أنه كان يصلي بين المغرب والعشاء ويقول: أما سمعتم قول الله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾ هذه ناشئة الليل ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾ هي خاصة دون ناشئة النهار، أشدّ مواطأة يواطىء

= النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي عرفوا ذلك في تربد جلده وأبو نعيم في الدلائل: كان إذا نزل عليه الوحي تربد له وجهه وجسده... وفي الباب حديث عبادة بن الصامت كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد وجهه انتهى.

١٦٧٤ ـ أخرجه البخاري (١/ ٢٧ ـ ٢٨) كتاب بدء الوحي حديث (٢) عن عائشة وفيه وإن جبينه ليتفصد عرقًا.
قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/ ١٠٩): وهو في الثعلبي: ليرفض.
وقال الحافظ ابن حجر: متفق عليه من حديث عائشة انتهى.

---

(١) قال محمود: «قيل الناشئة النفس القائمة بالليل التي تنشأ عن مضجعها... إلخ» قال أحمد: فإن حملت الناشئة على النفس فإضافة المواطأة إليها حقيقة، وإن حملتها على الساعات أو المصدر فهو من الاتساع المجازي.
ينظر: البحر ٨/ ٣٦٣، الدر المصون، ٦/ ٤٠٤.

(٢) نشأنا: نهضنا. والخوص ـ جمع خوصاء: الناقة المرتفعة الأعلى، الضخمة الأسفل. والى: الشحم. والسرى: سير الليل. والقماحد: جمع قمحدوة: وهي أعلى عظم الرأس. يقول: نهضنا إلى نوق عظيمة أذاب شحمها سير الليل، وألصق عظام رأسها بعضها ببعض، كناية عن قدرتها على السير واعتيادها له.

قلبها لسانها: إن أردت النفس. أو يواطىء فيها قلب القائم لسانه: إن أردت القيام أو العبادة أو الساعات. أو أشدّ موافقة لما يراد من الخشوع والإخلاص. وعن الحسن: أشدّ موافقة بين السر والعلانية، لانقطاع رؤية الخلائق. وقرئ: «أشدّ وطأ» بالفتح والكسر. والمعنى: أشد ثبات قدم وأبعد من الزلل. أو أثقل وأغلظ على المصلي من صلاة النهار، من قوله عليه الصلاة والسلام. «اللهم اشدد وطأتك على مضر» (١٦٧٥) ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ وأسد مقالا وأثبت قراءة لهدوّ الأصوات. وعن أنس رضي الله عنه أنه قرأ: وأصوب قيلا، فقيل له: يا أبا حمزة، إنما هي: وأقوم؛ فقال: إنّ أقوم وأصوب وأهيأ واحد. وروى أبو زيد الأنصاري عن أبي سرار الغنوي أنه كان يقرأ: فحاسوا، بحاء غير معجمة، فقيل له: إنما هو ﴿فَجَاسُوا﴾ [الإسراء: ٥] بالجيم، فقال: جاسوا وحاسوا واحد.

﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧﴾

﴿سَبْحًا﴾ تصرفًا وتقلبًا في مهماتك وشواغلك، ولا تفرغ إلا بالليل؛ فعليك بمناجاة الله التي تقتضي فراغ البال وانتفاء الشواغل. وأما القراءة بالخاء فاستعارة من سبخ الصوف: وهو نفشه ونشر أجزائه؛ لانتشار الهم وتفرّق القلب بالشواغل، كلفه قيام الليل، ثم ذكر الحكمة فيما كلفه منه: وهو أن الليل أعون على المواطأة وأشد للقراءة، لهدوّ الرجل وخفوت الصوت، وأنه أجمع للقلب وأضم لنشر الهم من النهار؛ لأنه وقت تفرق الهموم وتوزع الخواطر والتقلب في حوائج المعاش والمعاد. وقيل: فراغًا وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك وقيل: إن فاتك من الليل شيء فلك في النهار فراغ تقدر على تداركه فيه.

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠﴾

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ ودم على ذكره في ليلك ونهارك، واحرص عليه، وذكر الله يتناول كل ما كان من ذكر طيب: تسبيح، وتهليل، وتكبير، وتمجيد، وتوحيد، وصلاة، وتلاوة قرآن، ودراسة علم، وغير ذلك مما كان رسول الله ﷺ يستغرق به ساعات ليله ونهاره ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ﴾ وانقطع إليه. فإن قلت: كيف قيل ﴿تَبْتِيلًا﴾ مكان تبتلا؟ قلت: لأن معنى تبتل بتل نفسه، فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ قرئ مرفوعًا على المدح، ومجرورًا على البدل من ربك. وعن ابن عباس: على القسم بإضمار حرف

١٦٧٥ ـ تقدم تخريجه في سورة الأنبياء. برقم (٩٧٢) وقال الحافظ ابن حجر: متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم في الأنبياء. انتهى.

القسم، كقولك: الله لأفعلنّ، وجوابه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ كما تقول: والله لا أحد في الدار إلا زيد. وقرأ ابن عباس: رب المشارق والمغارب ﴿فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ مسبب على التهليلة؛ لأنه هو وحده هو الذي[1] يجب لتوحده بالربوبية أن توكل إليه الأمور. وقيل ﴿وَكِيلًا﴾: كفيلاً بما وعدك من النصر والإظهار. الهجر الجميل: أن يجانبهم بقلبه وهواه، ويخالفهم مع حسن المخالفة والمداراة والإغضاء وترك المكافأة. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: إنا لنكشر في وجوه قوم ونضحك إليهم، وإن قلوبنا لتقليهم (١٦٧٦) وقيل: هو منسوخ بآية السيف.

﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾﴾

إذا عرف الرجل من صاحبه أنه مستهم بخطب يريد أن يكفاه، أو بعدوّ يشتهي أن ينتقم له منه وهو مضطلع بذلك مقتدر عليه قال: ذرني وإياه أي: لا تحتاج إلى الظفر[2] بمرادك ومشتهاك، إلا أن تخلى بيني وبينه بأن تكل أمره إليّ وتستكفينيه، فإنّ فيّ ما يفرغ بالك ويجلي همك، وليس ثم منع حتى يطلب إليه أن يذره وإياه إلا ترك الاستكفاء والتفويض، كأنه إذا لم يكل أمره إليه، فكأنه منعه منه؛ فإذا وكله إليه فقد أزال المنع/ ٢/ ٢٤١ب وتركه

١٦٧٦ ـ علقه البخاري في صحيحه (١٠/ ٥٤٤) كتاب الأدب باب المداراة مع الناس. فقال: ويذكر عن أبي الدرداء قال الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٥٤٥) وهذا الأثر وصله ابن أبي الدنيا وإبراهيم الحربي في «غريب الحديث» والدينوري في «المجالسة» من طريق أبي الزاهرية عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء فذكر مثله وزاد ونضحك إليهم وذكره بلفظ اللعن ولم يذكر الدينوري في إسناده جبير بن نفير... اهـ.
وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٢٦٦) رقم (٨١٠٣) من طريق أبي الأحوص عن أبي الزاهرية عن أبي الدرداء به.
وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٢٢) من طريق خلف بن حوشب عن أبي الدرداء.
وأخرجه أبو بكر بن المقرىء في فوائده كما في «الفتح» (١٠/ ٥٤٥) من طريق كامل أبي العلاء عن أبي صالح عن أبي الدرداء.
وقال الحافظ: أخرجه البخاري في صحيحه تعليقًا في الأدب ويذكر عن أبي الدرداء ووصله البيهقي في الشعب في السادس والخمسين من طريق أبي الأحوص يعني ولد أحوص بن حكيم عن أبي الزاهرية قال: قال أبو الدرداء، ورواه أبو نعيم في الحلية في ترجمة أبي الدرداء من طريق سفيان عن خلف بن حوشب قال: قال أبو الدرداء مثل رواية البيهقي. انتهى.

---

(١) قوله: «هو الذي» لعله «الذي» بدون: هو. (ع)
(٢) قوله: «لا تحتاج إلى الظفر» لعله: في الظفر. (ع)

وإياه، وفيه دليل على الوثوق بأنه يتمكن من الوفاء بأقصى ما تدور حوله أمنية المخاطب وبما يزيد عليه. النعمة: بالفتح ـ التنعم، وبالكسر: الإنعام، وبالضم: المسرة؛ يقال: نعم، ونعمة عين، وهم صناديد قريش، وكانوا أهل تنعم وترفه ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ﴾ ما يضاد تنعمهم من أنكال: وهي القيود الثقال، عن الشعبي: إذا ارتفعوا استقلت بهم. الواحد: نكل ونكل. ومن جحيم: وهي النار الشديدة الحر والاتقاد. ومن طعام ذي غصة وهو الذي ينشب في الحلوق فلا يساغ يعني الضريع وشجر الزقوم. ومن عذاب أليم من سائر العذاب فلا ترى موكولاً إليه أمرهم موذورًا بينه وبينهم ينتقم منهم بمثل ذلك الانتقام. وروي: أنّ النبي ﷺ قرأ هذه الآية فصعق (١٦٧٧). وعن الحسن: أنه أمسى صائمًا. فأتي بطعام، فعرضت له هذه الآية؛ فقال: ارفعه، ووضع عنده الليلة الثانية، فعرضت له، فقال: ارفعه، وكذلك الليلة الثالثة، فأخبر ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيى البكاء، فجاؤا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ منصوب بما في لدينا. والرجفة. الزلزلة والزعزعة الشديدة. والكثيب: الرمل المجتمع من كثب الشيء إذا جمعه، كأنه فعيل بمعنى مفعول في أصله. ومنه الكثبة من اللبن، قالت الضائنة: أجز جفالا وأحلب كثبًا[1] عجالا، أي: كانت مثل رمل مجتمع هيل هيلا، أي: نثر وأسيل.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾

الخطاب لأهل مكة ﴿شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم. فإن

١٦٧٧ ـ أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٨٩) رقم (٣٥٢٦٨) وأبو عبيد القاسم بن سلام في «فضائل القرآن» رقم (١٦٦) وأحمد في «الزهد» (ص ١٦٤) كلهم من طريق وكيع عن حمزة الزيات عن حمران بن أعين به.

وأخرجه الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٧٥ ـ بتحقيقنا) ومن طريق وكيع عن حمزة الزيات عن حمران بن أعين عن عبد الله بن عمر مرفوعًا.

وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٣١٢) من طريق حمران بن أعين عن أبي حرب عن أبي الأسود عن النبي ﷺ به وأعله ابن عدي بحمران بن أعين.

قال الحافظ ابن حجر: أخرجه أحمد في الزهد والطبري من طريق وكيع عن حمزة الزيات عن حمران بن أعين أن النبي ﷺ بهذا: ورواه ابن عدي من رواية أبي يوسف عن حمران عن أبي حرب عن أبي الأسود وقال: غير أبي يوسف يرويه عن حمزة عن حمران انتهى.

---

(١) قوله: «وأجز جفالاً وأحلب كثبًا» الجفال: الصوف الكثير. والكثبة من اللبن: قدر حلبة، والجمع كثب، كذا في الصحاح. (ع)

قلت: لم نكر الرسول ثم عرف؟ قلت: لأنه أراد: أرسلنا إلى فرعون بعض الرسل، فلما أعاده، وهو معهود بالذكر أدخل لام التعريف إشارة إلى المذكور بعينه ﴿وَبِيلًا﴾ ثقيلاً غليظًا، من قولهم: كلأ وبيل وخم لا يستمرأ لثقله. والوبيل: العصا الضخمة ومنه: الوابل للمطر العظيم.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾﴾

﴿يَوْمًا﴾ مفعول به، أي: فكيف تقون أنفسكم يوم القيامة وهو له، إن بقيتم على الكفر ولم تؤمنوا وتعملوا صالحًا. ويجوز أن يكون ظرفًا، أي: فكيف لكم بالتقوى في يوم القيامة إن كفرتم في الدنيا ويجوز أن ينتصب بكفرتم على تأويل جحدتم، أي فكيف تتقون الله وتخشونه إن جحدتم يوم القيامة والجزاء، لأن تقوى الله خوف عقابه ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ مثل في الشدة يقال في اليوم الشديد: يوم يشيب نواصي الأطفال والأصل فيه: أنّ الهموم والأحزان إذا تفاقمت على الإنسان أسرع فيه الشيب. قال أبو الطيب [من الكامل]:

وَالْهَمُّ يَخْتَرِمُ الْجَسِيمَ نَحَافَةً ... وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ وَيُهْرِمُ[1]

وقد مرّ بي في بعض الكتب أن رجلاً أمسى فاحم الشعر كحنك الغراب. وأصبح وهو أبيض الرأس واللحية كالثغامة، فقال: أريت القيامة والجنة والنار في المنام، ورأيت الناس يقادون في السلاسل إلى النار، فمن هول ذلك أصبحت كما ترون. ويجوز أن يوصف اليوم بالطول. وأنّ الأطفال يبلغون فيه أوان الشيخوخة والشيب ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ﴾ وصف لليوم بالشدّة أيضًا. وأنّ السماء على عظمها وإحكامها تنفطر فيه، فما ظنك بغيرها من الخلائق. وقرئ: «منفطر ومتفطر» والمعنى: ذات انفطار. أو على تأويل السماء بالسقف أو على تأويل السماء شيء منفطر والباء في ﴿بِهِ﴾ مثلها في قولك: فطرت العود بالقدوم فانفطر به، يعني: أنها تنفطر بشدة ذلك اليوم وَهَوْله كما ينفطر الشيء بما يفطر به. ويجوز أن يراد السماء مثقلة به إثقالاً يؤدّي إلى انفطارها لعظمه عليها وخشيتها من وقوعه، كقوله:

---

(١) لأبي الطيب، يقول: إن الهم ينتقص الرجل الجسيم ويقتطعه شيئًا فشيئًا. ونحف نحافة: هزل هزالاً؛ فنحافة مفعول مطلق، لأنها تلاقي الاحترام في المعنى. ويجوز أنها تمييز، أي: ينتقص الهم العظيم الجسيم من جهة النحافة التي تنشأ عنه. ويجوز جعلها مفعولاً لأجله على مذهب من لم يشترط اتحاد الفعل والمصدر في الفاعل. والناصية: مقدم الرأس، أي: يشيب رأس الصبي. وخص الناصية؛ لأنها التي تقابل الناظر عند التقابل، ولا شعر للصبي إلا في رأسه. ويهرم، أي: يصير الصبي هرمًا ضعيفًا.

﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، ﴿وَعْدُ﴾ من إضافة المصدر إلى المفعول، والضمير لليوم. ويجوز أن يكون مضافًا إلى الفاعل وهو الله عز وعلا، ولم يجر له ذكر لكونه معلومًا.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ الآيات الناطقة بالوعيد الشديد ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ موعظة ﴿فَمَن شَآءَ﴾ اتعظ بها. واتخذ سبيلاً إلى الله بالتقوى والخشية. ومعنى اتخاذ السبيل إليه: التقرّب والتوسل بالطاعة.

﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾

﴿أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ﴾ أقل منهما؛ وإنما استعير الأدنى وهو الأقرب للأقل؛ لأن المسافة بين الشيئين إذا دنت: قل ما بينهما من الأحياز؛ وإذا بعدت كثر ذلك. وقرئ: ونصفه وثلثه بالنصب على أنك تقوم أقل من الثلثين، وتقوم النصف والثلث: وهو مطابق لما مرّ في أوّل السورة: من التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين/ ٢/ ٢٤٢أ قيام الناقص منه ـ وهو الثلث ـ وبين قيام الزائد عليه ـ وهو الأدنى من الثلثين. وقرئ: ونصفه، وثلثه: بالجرّ، أي: تقوم أقل من الثلثين وأقل من النصف والثلث، وهو مطابق للتخيير بين النصف: وهو أدنى من الثلثين والثلث: وهو أدنى من النصف. والربع: وهو أدنى من الثلث، وهو الوجه الأخير ﴿وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ ويقوم ذلك جماعة من أصحابك ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ومعرفة مقادير ساعاتهما إلا الله وحده؛ وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنيًا عليه: يقدّر، هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير؛ والمعنى: أنكم لا تقدرون عليه، والضمير في ﴿أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ لمصدر يقدّر، أي علم أنه لا يصح منكم ضبط الأوقات ولا يتأتى حسابها بالتعديل والتسوية، إلا أن تأخذوا بالأوسع للاحتياط: وذلك شاق عليكم بالغ منكم ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ عبارة عن الترخيص في ترك القيام المقدّر. كقوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧] والمعنى: أنه رفع التبعة في تركه عنكم، كما يرفع التبعة عن التائب. وعبر عن الصلاة بالقراءة؛ لأنها بعض أركانها، كما

عبر عنها بالقيام والركوع والسجود يريد: فصلوا ما تيسر عليكم، ولم يتعذر من صلاة الليل؛ وهذا ناسخ للأوّل، ثم نسخا جميعًا بالصلوات الخمس. وقيل: هي قراءة القرآن بعينها؛ قيل: يقرأ مائة آية ومن قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن، وقيل: من قرأ مائة آية كتب من القانتين. وقيل: خمسين آية. وقد بين الحكمة في النسخ. وهي تعذر القيام على المرضى، والضاربين في الأرض للتجارة، والمجاهدين في سبيل الله. وقيل: سوّى الله بين المجاهدين والمسافرين لكسب الحلال. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أيما رجل جلب شيئًا إلى مدينة من مدائن المسلمين صابرًا محتسبًا، فباعه بسعر يومه: كان عند الله من الشهداء (١٦٧٨). وعن عبد الله بن عمر: ما خلق الله موتة أموتها بعد القتل في سبيل الله أحب إليّ من أن أموت بين شعبتي رحل: أضرب في الأرض أبتغي من فضل الله (١٦٧٩). و﴿عَلِمَ﴾ استئناف على تقدير السؤال عن وجه النسخ ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يعني المفروضة والزكاة الواجبة وقيل: زكاة الفطر؛ لأنه لم يكن بمكة زكاة. وإنما وجبت بعد ذلك. ومن فسرها بالزكاة الواجبة جعل آخر السورة مدنيا ﴿وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ يجوز أن يريد: سائر الصدقات وأن يريد: أداء الزكاة على أحسن وجه: من إخراج أطيب المال وأعوده على الفقراء، ومراعاة النية وابتغاء وجه الله، والصرف إلى المستحق، وأن يريد:

١٦٧٨ ـ أخرجه الثعلبي كما في «تخريج الكشاف» (٤/١١١) من طريق المعافى بن عمران عن فرقد السبخي عن إبراهيم عن ابن مسعود.

وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه الثعلبي من رواية فرقد السبخي عن إبراهيم عن ابن مسعود موقوفًا ووصله ابن مردويه بذكر علقمة وزاد ثم قرأ: «وآخرون يضربون في الأرض ـ الآية» انتهى.

١٦٧٩ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/١١٢): رواه الثعلبي من حديث القاسم بن عبيد الله عن أبيه قال: سمعت ابن عمر يقول. . . . فذكره.

ورواه البيهقي في شعب الإيمان، في الباب الثالث عشر، من طريق عبد الرزاق: أنا معمر، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله ذكر عمر أو غيره، وقال: ما خلق الله. . . إلى آخره، ثم قال: ورواه غيره فقال، عن عمر بن الخطاب، لم يشك، وزاد: ثم تلا: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾. انتهى.

قلت: كذلك رواه علي بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية: أنا ابن وهب، عن يونس، عن ابن شهاب، عن نافع، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ما خلق الله موتة أموتها ـ إلا أن أموت مجاهدًا في سبيل الله ـ أحب إليّ من أن أموت وأنا أضرب في الأرض على ظهر راحلتي أبتغي من فضل الله عز وجل. انتهى.

قال الحافظ ابن حجر: أخرجه الثعلبي من رواية القاسم بن عبيد الله عن أبيه عن نافع عن ابن عمر وإسناده ضعيف ورواه ابن معبد في «الطاعة والمعصية» عن ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن نافع أن عمر قال: ما خلق الله موتة أموتها إلا أن أموت مجاهدًا في سبيل الله أحب إليّ من أن أموت. . . . إلى آخره والبيهقي في الشعب في الثالث عشر من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عبد الله ذكر عمر أو غيره قال: «ما خلق إلى آخره» انتهى.

كل شيء يفعل من الخير مما يتعلق بالنفس والمال ﴿خَيْرًا﴾ ثاني مفعولي وجد. وهو فصل، وجاز وإن لم يقع بين معرفتين؛ لأنّ أفعل من أشبه في امتناعه من حرف التعريف المعرفة[1]، وقرأ أبو السّمال «هو خير وأعظم أجرًا» بالرفع على الابتداء والخبر.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة المزمّل دفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة» (١٦٨٠).

١٦٨٠ ـ تقدم برقم (٣٤٦).
وقال الحافظ ابن حجر في: «تخريج الكشاف»: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بسندهم إلى أبي رضي الله عنه.

---

(١) قال السمين الحلبي: قلت: هذا هو المشهور، وبعضهم يجوزه في غير أفعل من النكرات. انتهى. الدر المصون.